الفصل الثاني

التغير والتغيير

● مقدمة ● خصائص التغيّر والتغيير ● التغيّر والتغيير في النظام التعليمي ● ملامح التغيّر في العملية التعليمية ● الخلاصة ● المناقشة

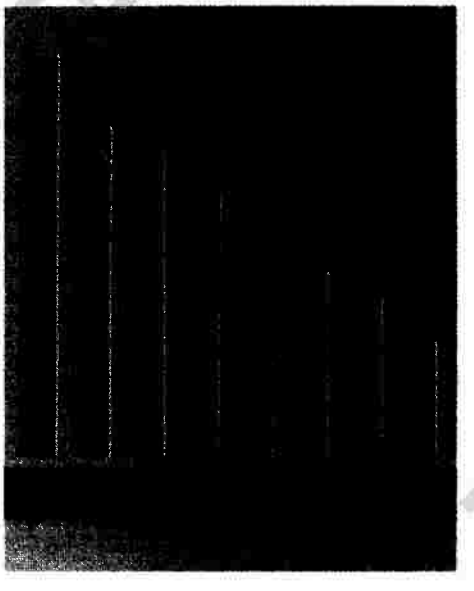

obeikandl.com

أهداف الفصل

بعد الانتهاء من دراسة هذا الفصل، سوف يكون الدارس قادرًا على:

١ ـ أن يصف ظاهرة التغيّر الطبيعية ومدلولاتها.

٢ ـ أن يصف ظاهرة التغيير في الطبيعة ومدلولاتها.

٣ ـ أن يذكر الفرق بين ظاهرتي التغيّر والتغيير من حيث خصائصهما.

٤ ـ أن يضرب أمثلة لظاهرة التغيّر من واقع البيئة المحليّة.

٥ ـ يطبق ظاهرة التغيير على عدد من الشواهد في البيئة المحلية.

٦ ـ يكوّن اتجاهًا إيجابيًّا نحو ظاهرة التغيّر والتغيير.

٧ ـ يتولّد لديه اتجاه سلبي نحو ظاهرة مقاومة التغيير في التعليم.

obeikandl.com

مقـدمـــة

يمكن أن نميز بين حالات ثلاث من التغيّر والتغيير.

(ا) الحالة الأولى نلمسها في ظاهرة شروق الشمس وغروبها بصورة منتظمة كل يوم. فالأشجار تنمو وتثمر ثم تذبل وتموت، فهذه الظواهر إنما هي تغيّر.

(ب) الحالة الثانية، فيما نلمسه من تغيّر مستمر ومنتظم في عاداتنا وتقاليدنا بفعل عوامـل مختلفة، إذ لم نعد نستعمل الجمال في المواصلات، ولم نعد نستعمل السيارات الكبيرة أو غير المريحة، فهذه ظواهر تغيّر وتغيير.

(جـ) أما الحالة الثالثة فتتمثل فيما نشاهده من اتساع في المدن وضخامة في الطرق المعبدة وتشابك في عمليات الاتصال الحديثة فهذه ظواهر تغيير.

لقد أصبحت ظاهرة التغيّر والتغيير الشغل الشاغل للعديد من العلماء والمفكرين يستوى في ذلك علماء الطبيعة وعلماء التربية والتعليم وعلماء الاجتماع على حدّ سواء، نذكر منهم على سبيل المثال ابن خلدون وديفيد وتايلور، ويكادون يجمعون على أن هذه الظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة في كل زمان ومكان وذلك لما لها من علاقة مباشرة بعمليات التنمية والتقدم ولما لها من تأثير على برامج التربية والتعليم.

خصائص التغيّر والتغييـر

أوردنا في معرض حديثنا عن ظاهرتي التغيّر والتغيير ثلاث حالات تحدد ملامح وحدود وخصائص كل من هاتين الظاهرتين. وإن كان الأمر يقتضي أن نحلل تلك الحالات، إلا أنه سوف يكون من المفيد أن نعرف التغير إجرائيًا قبل أن نباشر التحليل. لتعريف التغيّر وحتى التغيير إجرائيًا نقول: (إنه ذلك الوضع الحديث الذي يحل محل وضع قائم).

والآن دعونا نستعرض بالتحليل الحالات الثلاث:

١ ـ ذكـرنا في الحالة الأولى أن الشمس تشرق وتغرب كل يوم، وهذه ظاهرة طبيعية. في هذا يقول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾. (يس الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠). وهناك مثال آخر فالطفل يولد ثم ينمو، ثم يكبر، فيهرم وأخيراً يموت. يقول الله تعالى في وصفه لهذه العملية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾. [غافر - ٦٧]. وهذا ما يحدث للحيوان والنبات على حد سواء. في هذه الحالة نلاحظ أن ما يحدث هو تغير طبيعي لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيه كما أن الظاهرة نفسها لا تستطيع أن تتوقف إلا عند حدوث معجزة من الخالق. فالإنسان لا يستطيع أن يوقف شروق الشمس من المشرق، كما أن الشمس ذاتها لا تستطيع أن تتخلف عن الشروق أو تتوقف عن ذلك على رغبة منها. وهذا ما يحدث للطفل. فبعد قضائه تسعة أشهر في بطن أمه لا يستطيع أن يرفض الخروج إلى عالم الدنيا أو يرفض مراحل النمو المعروفة. كما أن الأم (مثلاً) لا تستطيع أن تقول: إنّها تريد الاحتفاظ بالجنين ساعة واحدة أكثر من اللازم في رحمها.

كذلك نلاحظ على هذه الحالة من الظواهر الطبيعية أنها تؤلف سلسلة من المتغيرات التابعة. فالطفل ينمو ويكبر ثم يعمد إلى الزواج فينجب. والنبات ينمو ويكبر ويثمر ويترك البذرة لتنمو فتكبر فتثمر. والشمس تسهم بأشعتها في إحداث ظاهرتي الليل والنهار وسقوط الأمطار وحدوث الفصول الأربعة. . الخ. وهذه جميعها متغيرات طبيعية محكومة بأزمنة محددة. وعلى الرغم من أن نمو الطفل تغيّر طبيعي إلا أنه تصحبه عدة متغيرات يستطيع الإنسان أن يلعب دورًا في تعديل مساراتها. فالطفل ينمو جسميًّا وفي الوقت نفسه ينمو في علمه وتفكيره وثقافته. لكن مقدار نموه في علمه وتفكيره وثقافته يختلف باختلاف المؤثرات المحدثة لها وهذا ما يحدد ما إذا كان النشاط (تغيّرًا) أو (تغييراً).

فإذا كان والدا الطفل على قدر من العلم، فربما كان هذا عاملاً لأن يكتسب الطفل مزيدًا من العلم يفوق عمره الزمني، وبذلك نقول: حدث تغيير في علمه. وإذا كانت البيئة من حوله مهيئة للتفكير السليم فقد يساعده ذلك على تنمية وبناء تفكيره على نحو يفوق المتوسط فهذا يقود إلى ظاهرة (التغيير). وإذا ما استطاع والداه أو

المجتمع من حوله أن يهيئوا له مناخًا خصبًا من مصادر الثقافة فقد يكون ذلك أدعى لأن يكتسب المزيد من الثقافة الهادفة البناءة. وهذا يصدق على عوامل (المال) و (الجاه) و (السلطان) التي تنمو وتتغير مع نمو الطفل.

وما ينطبق على الإنسان والحيوان والنبات والطبيعة من ظاهرة التغير، ينطبق على الجماعات والدول والحضارات فجميعها يناالها التغيّر الطبيعي أو التدريجي عبر سنين طويلة وبصورة منتظمة. فالجماعات تتغير من حيث الحجم، والقيادة، ومكان وجودها، والنشاطات التي تمارسها وأقرب مثال لذلك هو القبيلة. كذلك الدول فهي تتغير من حيث القوة والضعف، ومن حيث الاتساع والانكماش وخير مثال على ذلك هو (المملكة العربية السعودية) قبل توحيدها وبعده. وأخيرًا نجد الحضارات التي تنمو وتتسع وتزدهر ثم تذبل وتتلاشى تدريجيًا مثل الحضارة الرومانية وغيرها فهذه جميعها خضعت لظاهرة التغيّر التدريجي. ونلاحظ أن ظاهرة التغيّر الطبيعي ليست لها نهاية، فهي حلقة متصلة ومستمرة.

٢ ـ الحالة الثانية من ظواهر التغير والتغيير تبدو كما أسلفنا فيما نشاهده من تغيّر في العادات والتقاليد. فإلى عهد قريب ارتبطت العادات والتقاليد بقيم متوارثة يسلمها الأجداد للأحفاد في نظم الأكل والشرب، في نظم التحية والسلام، في نظم الملبس، في الألعاب والفنون.. الخ. فبعد أن كانت الأسرة الواحدة تعيش في بيت واحد، أصبح الابن سرعان ما يبحث عن سكن خاصّ به. وبعد أن كانت الألعاب والفنون نابعة من البيئة أصبحت مستوردة الأصل والتنفيذ، وقد نال محتواها الكثير من التغيير. لسنا هنا بصدد الحديث عن المساوىء والمحاسن، لكن الذي يهمنا في هذا المقام هو مقدار التغيّر والتغيير إذ كان من المتوقع أن تكون هذه المتغيرات بمثابة جسر للعبور من مرحلة التغيّر إلى مرحلة التغيير، بحيث تؤمن عوامل السلامة من الاضطرابات التي تصحب عادة فترات الانتقال تلك، لكن التطور الهائل في شتّى مناحي الحياة لم يترك فرصة لرجال الاجتماع أن يأخذوا للأمر عدته فسارت عجلة الانتقال بسرعة كبيرة جدًا.

٣ ـ أما الحالة الثالثة فتبدو واضحة وجلية فيما نشاهده من طرق معبدة، وعلى أحدث الأساليب الهندسية والحضارية. كذلك فيما نشاهده من نظام معماري بالغ

التعقيد، ومن إغراق للسوق بوسائل الاتصال بشتى صورها. فقد أوجد اتساع المدن السريع الحاجة إلى طرق معبدة داخل المدينة ذاتها، وبين المدن بحيث أصبحت المدن متقاربة بعضها من بعض. وأدى التطور التقني في علم الاتصال إلى استخدام الراديو والتليفزيون والصحف والمجلات.. الخ. وما يلاحظ على هذه الظواهر أنها جاءت وحدثت في فترة قصيرة جدًا لم تعط الفرصة للمجتمع لكي يمتصها ويتفاعل معها. وهنا يحذر علماء الاجتماع من الظاهرة العكسية التي تسمى مقاومة التغيير وهي معادلة مأخوذ بها حتى في علم الفيزياء (كل فعل له ردّ فعل مساوٍ له في القوة...)، أو القوة والمقاومة.

ظاهرة التغيّر السريع (أى التغيير) ليست جديدة ولقد أشبعها العلماء دراسة وتمحيصًا. يطلق عليها ويز Ways اسم التغير السريع Rapid change ويحددها بالفترة من ١٨٠٠-١٩٥٠م، حيث بلغ التغيّر ذروته. وفي ضوء ما أورده ويز Ways فإن أهم مؤثر للتغيير السريع هو عامل الحتمية. هذه الحتمية تفرضها إرادة الإنسان وسلوكه يستوى في ذلك أن يكون في المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الإدارية. ومن أمثلة التغيير السريع جهود الدول النامية في أعقاب الحرب العالمية الثانية للحاق بركب الدول الصناعية، وهو ما أشرنا إليه من أمثلة في مكان سابق.

وإلى جانب التغيير السريع يحدد ويز Ways ظواهر تغيير أخرى مثل (التغيير الجذرى Radical change) و (التغيير الدوري Revolution and major disruption) ثم يحدد الفترة التي أعقبت ١٩٥٠م بما يسميه بالتغيير الجذري، ويضع الخصائص لهذه الظاهرة من التغيير بأنها شهدت سرعة أعظم في التحول الاجتماعي وأسلوب الحياة إلى القدر الذي أصبح من المتعذر معه التفكير في أية جماعة أو مجتمع كوحدة مستقرة أو ثابتة. كذلك تمتاز مرحلة التغيير الجذري باحتمال قوي للخروج على العادات والتقاليد والقيم الموروثة. وما يقوله ويز Ways فيما يتعلق بالتغيير الجذري يمكن أن نجد له أمثلة عديدة في الكثير من الدول التي تبنت خطط التنمية السريعة. فالشعوب والمجتمعات التي تبنت تلك الخطط الجريئة والطموحة استطاع العديد منها أن يتخطى عدة مراحل تغيير في فترات زمنية محدودة. وقد اعترف ويز Ways بإمكانية حدوث ذلك حتى بالنسبة

لمجتمع غربي متطور مثل المجتمع الأمريكي، إذ ذكر أن الفصل بين مرحلة التغيير السريع والتغيير الجذري ليس ثابتًا أو دقيقًا. ثم يشير إلى مرحلة التغيير الدوري ويحدّدها بأنها عملية التغيير التي تضم جميع التغيرات السريعة والجذرية ويضيف إلى ذلك أن الفرد أو الجماعة التي تتولى مسئولية التغيير الثوري كثيرًا ما يتبادر إلى ذهنها أنها تعرف كيف تعالج الأمور الملحة والمعقدة، وكيف تحقق ما تصبو إليه الجماعة!! لكن ما يحدث في الواقع لا يبعث على الأمل مطلقًا. إذ سرعان ما يعترى تلك الآمال الوهن وتثقل كواهل صانعي القرارات المشكلات المستعصية. وهناك من يضيف حالة من حالات التغيير ويطلق عليها (التغيير المفرط Excessive change) وهو التغيير لغرض التغيير. ومن نماذجه لجوء الشخص إلى شراء سيارة جديدة كل عام أو استبدال أثاث منزله في فترات زمنية قصيرة جدًا، ليس بدافع الحاجة وإنما بدوافع أخرى كثيرة، تلعب فيها العوامل النفسية دورًا رئيسيًا.

التغير والتغيير في النظام التعليمي

كان لابد لنا من استعراض عدد من ظواهر التغيّر والتغيير في نماذج مما نشاهده ونعيشه في حياتنا اليومية بحيث تكون لدينا قاعدة أساسية من التفكير المنطقي عند الحديث عن هذه الظاهرة وعلاقتها بالنظام التعليمي. لقد ميز الله الإنسان بالعقل ومنحه قدرات متعددة على التعلم، إذا ما قورن بالمخلوقات الأخرى. ولقد ثبتت كفاءة هذه القدرات عبر الآلاف من السنين التي كان من نتيجتها أن توصل إلى ما ينعم به اليوم من حضارة ورفاهية وتقدم. وإذا ما قلبنا سجل كفاح الإنسان في ميدان العلم والمعرفة فسنجده حافلاً بالأعمال الخالدة التي قامت في أساسها على النمو والتطور التدريجي (التغيّر). وحتى عهد قريب، كان هذا النظام سائدًا في كثير من المجتمعات حيث تحتكر أسرة ما أو مجموعة قليلة من الأفراد صناعة معينة أو مهنة خاصة، وحيث لم يكن عدد المتعلمين ليتجاوز أصابع اليد، وهو ما عرف في التاريخ بالنظام الطبقي. وفيما عدا الفترات التاريخية القصيرة التي شهدت ازدهار حضارة من الحضارات الغابرة كالحضارة الإغريقيّة أو الرومانيّة أو غيرهما، عندما يرتفع مؤشر الاهتمام بالعلم والتعليم إلى قدر يتميّز بطابع (التغيير)، نجد أن ما تبقى من جهود الإنسان في سبيل العلم والمعرفة يميل نحو التغيّر الطبيعي التدريجي.

على أن ما نشهده اليوم في ميدان التربية والتعليم من نظم تعليمية حديثة تتمثل في تعليم تتولى مسئولية الإنفاق عليه وإدارته الدولة، وتعليم يتولى إدارته القطاع الخاص أو باختصار مدارس حكومية ومدارس خاصة. وتعليم تقليدي، وتعليم يعتمد على تكنولوجيا متطورة، يدفعنا إلى السؤال عما إذا كنّا نعيش مرحلة (تغيّر) أم (تغيير). وأيا كان الأسلوب الذي نعيشه فإن دراستنا له ومعرفتنا لخصائصه وما يحمله من واجبات ومسئوليات وصلاحيات وطرق تنفيذ تعتبر قاعدة جوهرية لتحقيق النجاح المنشود في الأسلوب أو النظام التعليمي الذي نعمل في نطاقه.

ليس ثمة شك في أن ما نشهده من تجديد وتحديث في النظام التعليمي إنما هو في حقيقته (تغيير) وليس (تغيّرًا). وهنا يبرز سؤال، لماذا نعتمد التغيير وليس التغيّر؟ ماهي محاسن التغيير ومساوئه؟ هذه الأسئلة وغيرها شغلت تفكير العديد من علماء التربية والتعليم. وقد كتبت العديد من المؤلفات وظهرت إلى السطح العديد من النظريات تعالج ظاهرة التغير والتغيير وتأثيراتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أما فيما يتعلق بالعملية التعليمية فإن الأمر يزداد حساسية لارتباطه بمستقبل الأمة ومستقبل أجيالها، كما يرتبط بفلسفتها وأهدافها. وكان طبيعيًا أن ينقسم العلماء إلى قسمين: قسم ينادي بضرورة تبني سياسة التغير التدريجي ومن ضمنهم رازق، ١٩٨٠م ويبررون لوجهات نظرهم بأن التغيّر التدريجي يتمشى مع سمة الحياة والنشاط اليومي للإنسان ونموه. أما الفريق الآخر ومن بينهم إريكسون Erikson ، ١٩٧٠م فيرى ضرورة اعتماد أسلوب التغيير السريع ويبررون لوجهات نظرهم بأنه في عصر تكنولوجي سريع التطور، لايمكن تبني سياسة التغير البطيء أو التدريجي في العملية التعليمية لأن ذلك يعني تخلفًا عن ركب الحضارة التكنولوجية الذي يتطور ويتغير على مدار الساعة.

وإذا كان التغيّر التدريجي سوف يفرض تخلفًا عن ركب التقنيات الزاحف وهذه حقيقة، فإن التغيير السريع أو الجذري يتسم بما يخلقه من مقاومة تجعل من جهود التغيير حبرًا على ورق. وهذه حقيقة أيضًا. ولعل مصدر التخبط وحتى الفشل الذي وقعت فيه العديد من دول العالم في سياستها التعليمية على الرغم مما أنفقت من جهد ووقت ومال، يرجع في أساسه إلى عدم وضوح سياستها التعليمية وأهدافها وكيف يجب عليها

تنفيذها، يستوى في هذا التعثر الدول النامية والدول المتقدمة على حدّ سواء. فدولة كبرى مثل الولايات المتحدة صعقت بالعهد الذي أطلق عليه العلماء فترة الاسبوتنيك Spotnic ١٩٥٧م مما دفعها إلى أن تلقى بكل ثقلها إلى الدراسات التطبيقية في الفيزياء والكيمياء والرياضيات. لكنها مالبثت أن بلغت مرحلة التشبع حتى أصبحت تعاني من بطالة في هذه الحقول خلال فترة قصيرة. وهكذا يبدو أن تبني أسلوب تعليمي يعتمد على التغيّر أو التغيير ليس قرارًا سهلاً. وإن كان السير بخطى وئيدة يعوق جهود وبرامج التنمية، بينما السير بخطى كبيرة قد لا يثمر بالقدر الذي يحقق أهداف الأمة.

ملامح التغيير في العملية التعليمية

تحدثنا حتى الآن عن التغيّر والتغيير كظاهرة في مجال النظام التعليمي وفلسفته. أما فيما يتعلق بالعملية التعليمية فإن ما يعنينا منها هو التغيير الذي يشمل:

١ - المواد التعليمية

أصاب المواد التعليمية تغيير شامل في الكمية والنوع خلال فترة زمنية قصيرة. فمن حيث الكمية نلمس اتجاهين في هذا المجال. فقد تفرعت المادة الواحدة إلى عدة موضوعات أو مواد أخرى مثل العلوم التي كانت مادة واحدة ثم أصبحت تعرف بـ (كيمياء - فيزياء - أحياء - جيولوجيا..) ولم يقتصر التغيير - فيما يتعلق بالمواد التعليمية - على فصل المواد وتجزئتها، ولكن شمل ذلك عددها أيضًا. فبينما كان عددها في المنهج الدراسي في المملكة العربية السعودية عام ١٣٣٤هـ لا يتجاوز المادتين فقط (عبدالوهاب عبدالواسع، د.ت.) هما تعليم القرآن الكريم، ومبادىء القراءة والكتابة، أصبح عددها اليوم يزيد على عشرين مادة.

٢ - سلّم التعليم

أصبح مقننًا من حيث سنوات الدراسة والمراحل الدراسية ومن حيث سن الطالب والسنوات المسموح له بالبقاء فيها.. الخ.

٣ ـ المدرسة وفصولها

فقد تطورت المدرسة من حيث المباني ومن حيث الفصول، ومن حيث الإدارة ومن حيث التنظيم والمختبرات.

٤ ـ وسائل وأساليب التعليم

شمل التغيير أسلوب التعليم كالاعتماد على النشاطات غير الصفيَّة وتكثيف الاستفادة من الوسائل التعليمية وطرق التدريس الحديثة مثل النقاش والحوار والمجموعات الصغيرة والمشروعات.. الخ.

٥ ـ حجم المدرسة

حتى عهد قريب كانت الكتاتيب والمساجد المكان الطبيعي للتعليم وتلقي العلم في المملكة العربية السعودية وسائر البلاد الإسلامية لكن التطور أو التغيير السريع فرض واقع المدرسة الحديثة بفصولها الكبيرة وطلبتها الذين يتجاوزون المئات بل الآلاف كما شمل إدارتها وأعضاء هيئة التدريس.. الخ. والجدول رقم (١) يوضح حقيقة هذا التغيير واتجاهاته.

جدول (١). ميزانية الطلبة والفصول في الفترة من ١٣٧٤-١٤٠٠/ ١٤٠١هـ

السنة	الميزانية بالريال	عدد الطلبة	المدرسين	عدد الفصول	عدد المدارس
١٣٧٤هـ	٦٥,٠٩٨,٤٠٤	٥٢,٨٣٩	٢,٢٨٨	٢,١٩٠	٤٦٩
٨٨/٨٧	٥٢٣,٨٦١,٨٦٢	٣٣١,٧٦٠	١٤,٥٥٢	١٣,٠٦٠	٢,٠٦٨
٤٠١/٤٠٠	٢١,٢٩٤,٤٦٥,٠٠٠	١,٥٥٠,٩٤٤	٨٦,٠٧٧	٦٩,١٢٩	١١,٣٧٩

إذا نظرنا إلى الجدول السابق وإلى الميزانية منه بالذات فسنجد أنها ارتفعت من ٦٥ مليون ريال تقريبًا عام ١٣٧٤هـ إلى واحد وعشرين ألف مليون ريال في عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ أي أنها تضاعفت أكثر من ثلاثمائة٪ في أقل من ثلاثين عامًا، هذا

الارتفـاع في الاعتمادات المالية لم يكن بسبب تجهيز المنشآت الأساسية فحسب وإنما لسبب آخر هو ارتفاع عدد الطلبة من ٥٢ ألف طالب عام ١٩٧٤م إلى ٥ر١ مليون عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ.

إن ما حدث وما تحقق في حقل التعليم هنا في المملكة وخلال فترة نصف القرن الماضي يفوق ما حققه إنسان الجزيرة عبر سنين طويلة من عمر تاريخه المسجل. ونظرًا لأن هذا التغيير جاء سريعًا وفي فترة قصيرة فإن احتمال حدوث مقاومة لمثل هذا التغيير هو احتمال وارد. وليس المقصود بالمقاومة الجانب السلبي منها أو ما يتسم بالعنف، وإنما قد تأخذ هذه المقاومة شكلاً مما يلي:

ا ـ التمسك بالأساليب التعليمية القديمة أو السائدة.
ب ـ عدم الرغبة في التكيف مع الأساليب والتقنيات الحديثة.
جـ ـ الشعور بعدم الاهتمام أو عدم المبالاة نحو التغييرات الجديدة.

ويدرك رجـال التربية والتعليم هذا اللون من سلوك وردود الفعل لدى بعض المدرسين، ذلك أن المدرس الذي ألف أسلوبًا معينًا ويسير على وتيرة واحدة في نشاطه التعليمي في الفصل وأمام طلبته وطريقة معالجته للمادة التي يدرسها. . الخ، لا يتوقع منه أن يتقبّل أساليب تدريس تأخذ منه ـ حسب اعتقاده ـ شيئًا من كبريائه وسيطرته على طلبته وسلطانه في الفصل بل قد تُهدّد مصيره ومستقبله، هذا إلى جانب ما تطالبه ـ على نحو غير مباشر ـ بأن يطلع وأن يبذل المزيد من الجهد.

فإذا كان التغيير سوف يفـرض على المدرس أسلوب إدارة للفصل يختلف عما ألفه، وإذا كان المدرس سوف يجد نفسه وجهًا لوجه أمام وسائل تعليمية وبرامج ومواد تعليمية جاهـزة الصنـع، وإذا كان أصبـح مُطالبًا باتباع أسلوب الحوار والمناقشة في الفصل وإشراك الطلبة في العديد من النشاط التعليمي، فإن على رجال التربية والتعليم أن يدركـوا هذه الحقيقة بأن يهيئوا البذرة القادرة على تقبل هذا الاتجاه. كذلك على مدرس اليوم أن ينظر إلى تقنيات التعليم الحديثة كأساليب مساعدة له وأنها وسائل معينة وليست عدوة له.

الخـــلاصـــة

ما يميز الكون الذي نعيشه أنه دائم الحركة والتغيّر. ومنذ الأزل كانت هناك ظاهرتان متلازمتان تؤثران على سلوك الإنسان وتصرفاته، بل وتشكلان القاعدة لتعامله مع نفسه ومع العالم الخارجي من حوله.

فالتغير كظاهرة يمتاز بمحدودية قدرة الإنسان على السيطرة عليه، ويتمثل ذلك في ظواهـر تغـيّر الليل والنهـار، أو الفصـول الأربعة، أو نمو الإنسان أو الحيوان أو النبات.. ونحو ذلك.

أمـا التغيير فيمتاز بقدرة كبيرة للإنسان على السيطرة عليه، ويتمثل ذلك فيما نشاهده من تغيير سريع للعادات والتقاليد هنا في المملكة العربية السعودية. كما أنه يتمثل فيما نشاهده في اتساع المدن وانتشار التعليم في فترة زمنية وجيزة.

ولقد أثر التغيير في هيكل النظام التعليمي بكامله، فشمل المواد الدراسيّة وحجم المدرسة وسن الطالب وواجبات المدرس وطبيعة عمل الإدارة المدرسيّة وسلم التعليم. ومهما يكن فإن التغيير كثيراً ما تلازمه ظاهرة تعرف بمقاومة التغيير.. وهو ما يستدعي التخطيط الجيد لعلاج نتائجها.

المنـــاقشـــة

١ ـ يعتـبر دخل الأسرة على جانب كبير من الأهمية لتوفير قدر من متطلبات الحياة وخاصة فيما يتعلق بتربية الأبناء. هل سيقود ارتفاع دخل الأسرة إلى إحداث تغير في سلوك الطفل؟ أم أنه سيقود إلى تغيير؟
ناقش ذلك على ضوء ما درسته في هذا الفصل.

٢ ـ يضع وييز «Ways» التغيير في عدة مراتب. ماهو نوع التغيير الذي ينطبق على مناهج التعليم العام لدينا؟

٣ - تمتاز تقنيات الاتصال والتعليم الحديثة بأنها تدفع المدرس إلى أن يكيف نفسه وأسلوب عمله مع واقع هذه التقنيات ومتطلباتها . . كيف ترى موقف المدرس من هذا الاتجاه؟

ناقش ذلك على ضوء ما ورد في هذا الفصل .

obeikandl.com